لا أريد أن أستعطفك ، فأنت أكبر من كل عاطفة صغيرة . أريد أن أقول مرة أخرى ليس الماضى خالصا للماضى فى الأيام . تحرر الماضى من مضيه وانقطاعه . وأصبح مادة من مواد التفكير فى مشكلات الثقافة وعلاقتها بالمجتمع . قام الدكتور طه بمراجعة مذهلة للمجتمع وأطواره ومستقبله .

استطاع الدكتور طه فى الأيام أن يصور طفلا ضعيفا قويا ، مسالما خصما . قال فى عبارة استوقفت الدكتور زكى مبارك : « كان فى طفولته يجلس من أبيه وسماره مزجر الكلب». وأعجب الدكتور مبارك بصراحة الكاتب وصدقه . ليت شعرى أكان هذا الكلب راضيا عن أبيه وسمار أبيه . مالنا لانفتش عن النغمات الداخلية إن صح هذا التعبير . مالنا لا نعيد النظر فى قصة العلاقة بين شيخ الكتاب وأهل القرية . وما لنا لا نعيد النظر فى سلطة الشيخ وجدال الكاتب لها فى طفولة وبساطة خادعة .

هل تريد أن أذكرك أيضا بأنه كان يعبث بالنعال الموضوعة حول دكة معلم الأطفال ، ثم يمضى فى تقليبها واختبارها حتى يعرف عدد مافيها من خروق ورقوع . مامعنى هذا أيضا . هل معناه أن الدكتور طه يرى الدنيا بيديه كما يقول الدكتور زكى مبارك . ولماذا نخلط بين معنى النص وظروف منشئه . ولماذا نغفل أشياء يسيرة . هل يصنع كل الذين يشبهون طه هذا الصنيع . ألا يصح أن نسأل لماذا يحصى الطفل الخروق والرقوع . ولماذا تكون الخروق والرقوع فى النعال . قل ما شئت ، فإن هذه صورة ساخرة للعيوب و إصلاح العيوب . صورة ساخرة تقول فيما تقول إن حياتنا الثقافية أشبه ما تكون بهذه الخروق وهذه الرقوع . هل بطلت الخروق . وهل صحت الرقوع . هل تستطيع أن تهمل التأثير العميق لمثل هذه الصورة .

أما آن لنا أن نحرر الأيام من الحكاية والتمثيل والصدق والماضى الصرف . إن كتاب الأيام جعل من طفولة شخصية رمزا يذكرنا بما أهم المازنى والعقاد . أعنى رمز القلق والتطلع إلى الحرية المرحة رغم القيود .

كتاب الأيام رمز آخر من رموز التفاعل بين اللغة والبلاغة والميلاد الجديد .